طلعنا عالحريّة

حرية كرامة مواطنة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

العدد 54

2015 / 8 / 21

أسامة نصّار من دوما:

ماذا نكتب بعد المجزرة؟

بيان ضد منع حرية الإعلام والرأي في المناطق المحررة

مجلس "العيش المشترك" في رأس العين سري كانيه محاولةٌ لترسيخ أخوة الشعوب

مقالات

- الطريق نحو سوريا القادمة
- ناظم الحمّادي.. صخرة دمشق التي لا تنكسر..
- الاعتراف بـ«ذات الواقع».. طريقاً أوحد للحل

في حلب
مصنع لإنتاج آلات قتل محترفة

لوحة للفنان عبد الرزاق شبلوط

عبد الرزاق شبلّوط، معرضه، الثورة، اللجوء، وأشياء أخرى

ماذا نكتب بعد المجزرة؟

أسامة نصّار

من أين تبدأ الكتابة عن المجزرة؟
من حصيلة ضحاياها؟ من عدد الغارات؟ من نوع السلاح المستخدم (كيماوي أم فيزيائي أم جهنّمي)؟ من عدد الجرحى وعدد من بُترت أطرافهم؟ من عدد البيوت التي خرّبت (مادياً أو معنوياً أو كليهما)؟ من تزامنها مع الذكرى السنوية الثانية لمجزرة سابقة في نفس المكان، والذكرى الثالثة لمجزرة أيضاً تسبق السابقة إلى الغرب من هذا المكان؟
ولماذا أصلاً -ولمن- تكتب عن مجزرة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة (يوجد بلا شكّ ما يدلّ على ذلك)؟
بالقياس على المجازر السابقة فإن غاية طموح الشعب السوري -بعد الإدانة والشجب (والذهول هذه المرة)- هي تسليم الطائرة النفاثة التي قامت بالمجزرة!
ثم.. كيف توصل أي فكرة لمن لا يريد أن يستقبلها؟ أو لمن يفهم ما يريد هو مهما كان ما قلته أنت؟
نقول: "من الواضح أن بنك الأهداف عند قوات النظام محدّد بدقة. فكلّ الإصابات مؤكدة مئة في المئة. لدرجة أن يقع الصاروخ في الغارة الثانية بنفس المكان الذي وقع فيه سابقه في الغارة الأولى؛ كما في أساطير زورو وروبين هود؛ حين يشطر السهم الثاني عودَ السهم الأول. ليس هذا طبعاً مدحاً لمهارة الطيار (أو ربما الصاروخ الذكي!). فالعار الذي يجلّله لا تغطي عليه أي مهارة".
وفي رواية أخرى: "نعم.. بالتأكيد.. غارات الطيران الحربي في دوما على أكبر سوق شعبي مزدحم بالفقراء والخضرجية هي ردّ على محاولة استهداف قوات معارضة من داخل الغوطة (تخرج ضدّها مظاهرات بالمناسبة) لمقرات أمنية في دمشق... دمشقه هو!.. بل إنها ردّ على محاولة اقتحام أحد القطع العسكرية الجاثمة على طرف الغوطة لتصليها بنيران المدافع والصواريخ ليل نهار. اضطر النظام للرد. هو لا يريد قتل الناس.. "وهل هناك حكومة تقتل شعبها؟!"

طلعنا عالحرية
مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

هيئة تحرير طلعنا عالحرية
رئيس التحرير : ليلى الصفدي
معاون رئيس التحرير : أسامة نصّار
محررون
أوس المبارك - أبو القاسم السوري
محرر القسم الكوردي
ميرال بيروردا
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية
رزان زيتونة - ناظم حمادي

غريبون نحن! النظام المسكين يتعرض لمؤامرة كونية ويدافع عن نفسه. هكذا من دون سابق ترصّد، وجد نفسه مجبراً أن يقصف في يوم واحد أربعة أسواق شعبية في الغوطة، تغصّ بالكادحين والأطفال والشحاذين في كل من سقبا وحمورية وكفربطنا ودوما، بعد يوم من قصف سوق في إدلب وقبل يوم من قصف سوق في درعا.. وقبل أربعة أيام من معاودة قصف نفس السوق في دوما. كلها مصادفات! أو أن الأهداف كانت مواقع عسكرية لكن الصواريخ والقذائف أصابت -بالخطأ- أماكن تجمّع المدنيين".

بالكلام عن الضحايا ومن غير أرقام: هناك شهداء تم توثيقهم بالاسم، شهداء مجهولو الهوية، جثث مشوهة.. و... أكوام كبيرة من الأشلاء!

ورد في شهادة أدلى بها طبيب من المكتب الطبي الموحّد في الغوطة الشرقية لطلعنا عالحرية: "لم تستطع النقاط الطبية في دوما استيعاب الجرحى فتمّ نقل جزء منهم لباقي المشافي والنقاط الطبية في الغوطة. بعضهم استشهد هناك. في دوما وحدها افتتحت تسع قاعات عمليات بنفس الوقت. بعض الزملاء اضطروا لإجراء جراحات على طاولات مؤقتة في الممرات بين غرف العمليات.."، ويتابع: "أعطيك مثالاً لتتخيل حجم العمل في يوم واحد: منذ حوالي 7 أو8 أعوام حدث زلزال في تركيا. كان عدد الجرحى مماثلاً لما هو عندنا (أكثر من 500 جريح) لكن كل الدولة التركية استنفرت، وهي غير محاصرة، وجاءتها مساعدات من عدة دول: طائرات بمشاف ميدانية مجهزة بالكامل، مع أطقمها الطبية واللوجستية وأطباء من مختلف التخصصات. ثم يعقّب الطبيب: "الضربة اليوم أسوأ من ضربة الكيماوي بدرجات".

ليس بعيداً عن الطبيب الذي أنهكه التعب النفسي ربما أكثر من الجسدي، خاصة بعد أن أجرى في يومين ثقيلين عمليات جراحية بعدد ما يجريه زميل له في سنة!

وصل الرجل النقطة الطبية ليتبرع بالدم، وجد امرأة على باب النقطة تحتضن شيئاً وتولول.. أجابت بشتيمة -له ولجلالة المذكورين- على طلباته لها: "صلي على النبي يا أختي" أو "وحدي الله يا حرمة"، فشتمها بدوره وزجرها. فسكتت. انكشف اللحاف عن ما في يدها ليرى طفلاً ميتاً. حوقل واستغفر، وعاد يحدثها:

- "خير يا أختي؟"

- "ابني!.." وعادت للعويل والصراخ. سحبه من يدها فناولته إياه، لكنها بعد لحظة عادت وضمّت الطفل إلى صدرها وطمرت رأسها وغابت فيه.

انشغل حصّة بغيرها، ولما عاد رآها تقول: "خذوني لبيتي". بادر مجدداً: "وين بيتك أختي؟ أنا أوصلك". وهو يؤمنها في سيارة شهم آخر سمعها تندب من جديد: "شو بدي قول لزوجي؟ قال لي لا تاخدي الولد معك عالسوق"!

****

في اليوم التالي لاستهداف السوق أيضاً استمر القصف، بالطائرة الحربية وبالمدافع والصواريخ. في المساء يقول أحد المسعفين: (الحمد لله.. اليوم فقط خمسة شهداء)!

يزيد المصيبة أن تستطلع آراء المحللين فيها، فترى أن المجزرة أيضاً -كما كل حدث- هي فرصة لكل ذي رأي للتدليل على صواب رأيه؛ "النظام استعاد حيويته والقبول الدولي به، فاطمأن فازداد وحشية" إلى: "النظام في أضعف حالاته، ما نراه هو التخبط الأخير للوحش الجريح اليائس". إلى من يدلّل بالمجزرة على عدم وجود إله قادر خلق هذا الكون ويعرف كل ما يدور فيه. مقابل من يجد أنها مدّ الخالق للظالمين وامتحان آخر للمؤمنين.

من الفضائل القليلة للحصار وغياب الكهرباء والاتصالات أنها تعفي المفجوعين في دوما اليوم من قراءة آراء المحللين واستنتاجاتهم عن سبب هذه المجزرة أو توقعاتهم عن مفاعيلها.

بيان ضد منع حرية الإعلام والرأي في المناطق المحررة

في ظل ارتفاع وتيرة الانتهاكات بحق الإعلام السوري الجديد في المناطق المحررة، وفي أعقاب إقدام إدارة معبر باب الهوى التابعة لحركة أحرار الشام الإسلامية على مصادرة وإتلاف آلاف النسخ من الأعداد الأخيرة لمجلة طلعنا عالحرية وصحيفتي صدى الشام، وكلنا سوريون؛ ومنع دخولها إلى الأراضي السورية بحجة أن فيها مواد تسيء للثورة والثوار، وقّع عدد من المنظمات الحقوقية ومنظمات حرية الإعلام وكتّاب وصحفيون وناشطون ثوريون على بيان مشترك ضد منع حرية الإعلام والتعبير في المناطق المحررة من سوريا.

ووصف البيان هذا العمل بأنه منافٍ لأبسط حق خرجت من أجله الثورة السورية، وهو حق التعبير عن الرأي، واعتبر الموقعون أن ما قامت به إدارة المعبر هو استمرار لسياسة تكميم الأفواه التي مارسها النظام طيلة أكثر من أربعين عاماً.

كما دعا البيان إدارة المعبر وكافة الإدارات العاملة في المناطق المحررة إلى إعادة النظر بممارساتها تجاه حرية الرأي، خصوصاً أن المواد التي تم منع الأعداد بسببها لا تحتوي على معلومات سرية تخص وضع جبهات القتال ضد «داعش» أو نظام الأسد، كما دعا كافة المنظمات المعنية والناشطين والكتاب إلى إعلان تضامنها من أجل رفع الصوت ضد هذه الإجراءات التعسفية التي تنذر بحاضر ومستقبل سيئ الحال إن تم السكوت عنها».

وقد وقع على البيان أكثر من 40 منظمة حقوقية ومؤسسة إعلامية سورية إلى جانب أكثر من مائتين من النشطاء والصحفيين والكتّاب من سوريا ولبنان وفلسطين.

فيما يلي نص البيان:

في خطوة ليست الأولى من نوعها، قامت إدارة معبر باب الهوى – الواقع بين تركيا والأراضي السورية المحررة شمالاً – التابعة لحركة أحرار الشام الإسلامية بمنع دخول الأعداد التي تخص كلاً من المجلات والصحف التالية: صدى الشام، طلعنا عالحرية، كلنا سوريون؛ بحجة أن فيها مواد تسيء للثورة والثوار، كما قامت بمصادرتها وإتلافها.

إننا الموقعين أدناه، من منظمات حقوق الإنسان ومنظمات حرية الإعلام والتعبير، وإدارات صحف ومجلات، وكتّاب وناشطين ومعارضين لنظام الأسد؛ نستنكر هذا العمل المنافي لأبسط حق خرجت من أجله الثورة السورية، وهو حق التعبير عن الرأي. ونعتبر ما قامت به إدارة المعبر استمراراً لسياسة تكميم الأفواه التي مارسها علينا النظام طيلة أكثر من أربعين عاماً. ونؤكد على أن الاختلاف في الرأي يستوجب الرد عليه لا منعه أو إلغاءه، وأن هذا المنع يسيء لأصحابه لا لأي أحد آخر. وندعو إدارة المعبر وكافة الإدارات العاملة في المناطق المحررة إلى إعادة النظر حول منع حرية الرأي، خصوصاً أن المواد التي تم منع الأعداد بسببها لا تحتوي على معلومات سرية عسكرية تخص وضع جبهات القتال ضد داعش أو نظام الأسد.

وندعو كل المنظمات المعنية والناشطين والكتاب إلى التضامن معنا لإيصال صوتنا ضد هذه الإجراءات التعسفية التي تتكرر دوماً وتنذر بحاضر ومستقبل سيئَي الحال إن تم السكوت عنها.

أكاديمية عبد الرزاق العسكرية .. مصنع لإنتاج آلات قتل محترفة

عمر العبد الله

لم يعد يخفى على أحد قيام أطراف الصراع في سوريا بتجنيد الأطفال، سواء الفصائل المعارضة أو الميليشيات المؤيدة للنظام، كلا الطرفين اعتمد على تجنيد الاطفال لتوفير الموارد البشرية المطلوبة.

في منطقة احتيملات شمال شرق مدينة حلب، أنشأ الرقيب المنشق عن الجيش السوري عبد الرزاق أكاديميته العسكرية لتدريب الأطفال على القتال، في مدرسة مهجورة في البلدة الصغيرة التي لا يتجاوز تعداد سكانها 3500 نسمة وتخضع لسيطرة الجبهة الشامية. أطلق عبد الرزاق على مدرسته اسم أكاديمية عبد الرزاق العسكرية، ويركز عبد الرزاق على ضم الأطفال والشباب لأكاديميته، ويتلقى الأطفال في الأكاديمية ساعتين من التدريبات العسكرية يوميا.

الأكاديمية تضم في صفوفها حاليا ما يقارب 150 متدربا غالبيتهم من الأطفال، يسعى عبد الرزاق الى تحويلهم الى آلات قتل متنقلة حسب قوله. رفض عبد الرزاق الحديث إلينا بشكل مباشر حول مدرسته على الرغم من افتخاره الشديد "بإنجاز عمره" حسب وصفه. في المنطقة تحدثنا الى سكان المدينة الذين التحق أبناؤهم بأكاديمية عبد الرزاق العسكرية.

أبو أحمد، في الخامسة والخمسين من عمره يملك دكاناً للبقالة في البلدة، روى لنا لماذا أرسل اصغر أبنائه سعيد 14 عاما الى أكاديمية عبد الرزاق العسكرية: "عندي أربعة أولاد ذكور وثلاث بنات، أولادي الذكور استشهدوا جميعا في المعارك مع النظام ومع داعش، سعيد أصغر أولادي، لا مدرسة تؤويه، من الافضل له التدرب على استخدام السلاح والالتحاق بإحدى فصائل الجيش الحر، قبل أن تدخل داعش الى المدينة ويساق إبني إلى الإعدام، أفضِّل أن أراه على الجبهات بدلا من المنزل أو السجن". بينما أم أحمد 49 عاما وهي ربة منزل، تخالف زوجها بالكامل حول التحاق سعيد بالأكاديمية العسكرية في البلدة، تقول أم أحمد "عبد الرزاق شخص مجنون يجب منعه من تجنيد الاطفال، إنهم أطفال وهو يتفاخر بأنه سيجعل منهم قتلة محترفين، لا أدري ما هو الشيء العظيم الذي يحبه زوجي في هذه الاكاديمية؟ لا زلت لا أفهم كيف يمكن لأب أن يرسل طفلا في الرابعة عشر من عمره ليصبح آلة قتل؟". ينتهي حديثنا مع العائلة بشجار بين أبو أحمد وزوجته حول أكاديمية عبد الرزاق.

أما عمر وهو طالب في الإعدادية ويبلغ من العمر 15 عاما، فيقول أنه احترف استخدام الكلاشنكوف AK47 بعد أقل من شهر على التدريب: "بعد أقل من شهر، صرت أحسن طالب بين طلاب الأكاديمية، كان الرقيب عبد الرزاق يقول لي دائما يجب أن تتعلم استخدام القناصة فرصاصتك لا تخيب، المشكلة في القناصة بالنسبة إلي أنها كانت ثقيلة ولم أستطع السيطرة عليها، أما الكلاشنكوف فأصبح كاللعبة في يدي وكأني ألعب واحدة من ألعاب الكومبيوتر القتالية". يروي لنا عمر تفاصيل التدريبات التي شارك فيها في الأكاديمية بحضور شقيقيه الاكبرين عمار 36 عاما، كان يعمل نجارا قبل التحاقه بلواء التوحيد، وعمران 32 عاما كان يعمل حدادا قبل انضمامه أيضا الى لواء التوحيد. يقول عمر: "في البداية كانت التدريبات كلها رياضية كتسلق سور مرتفع والقفز خلال النيران، بعد انتهاء الأسبوع الثاني بدأنا نتدرب على طريقة فك وتركيب كل من المسدس والكلاشنكوف، خلال ذلك الأسبوع كنت أشعر أنني أصبحت جاهزا للالتحاق بجبهات القتال، لكن الرقيب عبد الرزاق كان دائما يقول لنا إنه لن يسمح لنا بالالتحاق بأي تنظيم أو جبهة قتال إلا بعد انتهاء التدريب كاملا، في الأسبوع الرابع أصبحت أفضل من يستخدم الكلاشنكوف رغم وزنه الثقيل، كنت قادرا على إصابة 26 هدفا من أصل 30، كان الرقيب عبد الرزاق يهتم بي بشكل خاص لأنني كنت الأفضل حسب قوله، في الشهر الثاني بدأت بالتدرب على استخدام السكين في الاشتباكات المباشرة، لم أعد أخاف من رؤية الدم، أصبح الامر عاديا بالنسبة إلي، أريد الالتحاق بلواء التوحيد أو أن أذهب الى حلب للقتال هناك في جبهة صلاح الدين أو جبهة العامرية، لكن أمي ما زالت ترفض، ما زالت تظن أنني طفل وأنني يجب أن أكون في المدرسة وليس على الجبهة، لا أدري كيف ستسمح لي بالذهاب، ربما يجب علي الفرار من المنزل".

والدة عمر، السيدة خدوج 57 عاما، تقول إن أشقّاء عمر هم من يتحملون مسؤولية الزج بعمر في هذه الأكاديمية: "أولادي هم من قاموا بتسجيله في هذه الأكاديمية، من أجل الانتقام لعائلتنا التي فقدت ما يقارب 9 أشخاص في قصف النظام للمنطقة، أخشى أن يقوم أحد ما باستهداف المدرسة ويقتل عمر في هذا الهجوم، هما الاثنان – تشير الى ولديها الكبيرين عمار وعمران – يتحملان مسؤولية ما سيحصل له، كنت أريده أن يتابع تعليمه لكنهما دفعاه الى تعلم ممارسة القتل، أنا إنسانة أمية لا أقرأ ولا أكتب، لكن إحساسي لا يخيب، من سيوقف هؤلاء الاطفال بعد أن يتحولوا الى قتلة محترفين، اعتادوا مشاهد الموت والدم والاشلاء، لن يتمكن أحد من إيقافهم، سيكونون خطرا على الجميع". بدون مبالاة يغادر كل من عمار وعمران الجلسة متجاهلين حديث والدتهم.

لا تعاني أكاديمية عبد الرزاق كثيرا للحصول على طلابها، فالالتحاق بها مجاني بالكامل، ويجب على عائلة الطفل أن تقوم بتسجيله، فالأكاديمية ترفض التحاق طفل بها دون موافقة عائلته، وعدد المنتسبين إلى الأكاديمية يزداد يوما بعد يوم. لا تحتاج الأكاديمية إلى تمويل، فهي تعمل ساعتين فقط كل يوم، والأسلحة التي يتدرب عليها الأطفال متوفرة بكثرة في الأسواق، وفي كثير من الحالات يحضر الطفل سلاحه معه من المنزل، حيث تقوم العائلة بتأمين السلاح لطفلها المقاتل، أو عن طريق إحدى الفصائل المقاتلة شرط التحاق الطفل بهذا الفصيل فور انتهائه من التدريب.

الطريق نحو سوريا القادمة

ماهر مسعود

كلما كان عدد القوى المؤثرة في الواقع أكبر، كلما كانت الامكانيات التي يمكن أن يؤول إليها ذلك الواقع أوسع وأعقد، ولاسيما عندما لا تكون الغلبة أو السيطرة المطلقة لقوة واحدة بعينها بين تلك القوى.

وفي سوريا هناك دائرة كبرى من القوى الإقليمية والدولية المؤثرة والمتدخلة واقعياً، وهي قوى ذات مصالح متباينة ومتعارضة ومتناقضة معظم الأحيان. وفي مقابل تلك القوى الخارجية المؤثرة، هناك أيضاً دائرة أخرى من القوى المحلية، التي لا تقل صراعاتها وتناقضاتها وتأثيراتها في الواقع والمستقبل السوري عن تلك الخارجية. وليس كل من النظام السوري أو داعش أو النصرة، أو حتى فصائل الجيش الحر، سوى التمثيلات الظاهرية الأبرز عن تلك القوى المحلية، التي لا تكتمل دائرتها إلا بإضافة القوة المدنية الكامنة للشعب السوري، وهي قوة لا يعني عدم بروزها إلى السطح، على طريقة القوى الأخرى، أنها غير موجودة أو مؤثرة في سير الأحداث.

لكي نفكر في المآلات القادمة للدولة السورية، لابد أولاً أن نستبعد غير الممكن، ولذلك نجد أن ما هو غير ممكن، ينحصر في أمرين متناقضين يمثلهما مجازاً الغول والعنقاء: يمثل الغول الخيار المستبعد الأول، وهو عودة الدولة الأمنية الشمولية التي صنعها الأسد الأول وفضّل الثاني إحراقها على أن يتخلى عن شموليتها. وتمثل العنقاء الخيار الثاني، وهو الدولة المركزية الدستورية القائمة على الديمقراطية والمواطنة، تلك الدولة التي خرج الشعب السوري بتظاهراته السلمية حالماً بتحقيقها، وعبرت عنها شعارات الثورة السورية بأهدافها الرئيسة في الحرية والكرامة والدولة المدنية الديمقراطية.

يعبر هذين الخيارين عمّا هو مستبعد في المدى المنظور، فحتى لو كانت إرادة النظام والقوى المتحالفة معه تتجه إلى استعادة دولة الاستبداد العلماني الشمولي، أو كانت إرادة داعش والنصرة والقوى الداعمة لها أو المستفيدة منها تتجه نحو البديل الإسلامي الشمولي، فإن أفضل ما يمكن لكل منها تحقيقه هو حرب أهلية بينية مستدامة، ممزوجة بحرب أخرى لكل من الاستبدادين نحو "شعبهما"، دون أن ننسى أن الشعب السوري بالمجمل لم يعد يملك ما يخسره بشكل حقيقي؛ وبعد كل الأثمان التي دفعها، سوى القيود.

لكن بالمقابل، فإن حلم الثورة السورية القائم على الشعب السوري الواحد، والدولة المركزية الديمقراطية لم يعد قابلاً للتحقيق في المدى المتوسط على الأقل، في ظل الشروخ الهائلة في المجتمع السوري التي تركتها الدماء المسالة، وفي ظل الفرز الطائفي والاثني الذي عمقته الحرب، وفي ظل الإرهاب العلماني الذي صنع إرهاباً إسلامياً يساويه في الدرجة ويعاكسه في الاتجاه، وفي ظل الذاكرة التي امتلأت مرويات ومظلوميات وقصص واقعية وخيالية عند كل طرف وكل طائفة، كثيرة كانت أم قليلة، وفي ظل المصالح المتضاربة للقوى الاقليمية والدولية المؤثرة.

ربما بات جلياً لكل متابع، أن الحراك السياسي والديبلوماسي بعد الاتفاق النووي بين الدول الكبرى وإيران، أصبح أكثر جدية وأكثر حماساً لإيجاد المخارج السياسية للأزمة السورية. لكن مخرجاً سياسياً قائماً على استعادة "الديكتاتورية الطائفية" التي مثلها النظام أو أشباهه الإسلاميون في المقلب الآخر، ليس مخرجاً بأي حال، إن لم يكن مدخلاً لتوسيع الحرب خارج الحدود وضد الرغبة الدولية، كما أن مخرجاً سياسياً قائماً على تمكين ديكتاتورية وطنية، غير ممكن واقعياً لعدم وجود أي شخصية وطنية مُجمَع عليها من قبل السوريين، أو حتى قابلة للإجماع الوطني. كما أن حلاً سياسياً باعتماد الديمقراطية الوطنية في دولة مركزية هو أيضاً خارج الحسبان كما أشرنا في البداية. ولذلك نرجح أن تتجه الحلول نحو نوع من "الديمقراطية التوافقية" في دولة واحدة لامركزية. وإن كانت الديمقراطية التوافقية ترفع الطوائف والاثنيات إلى وحدات سياسية، وإلى حيز السياسة على الطريقة اللبنانية سيئة الصيت، إلا أن أكبر المخاوف هو أن تؤدي الواقعية السياسية المعتمدة دولياً والمفروضة داخلياً إلى الدخول قسراً فيما نخاف منه ونخشاه ونؤجل الكلام فيه كما هي العادة. ولذلك فإن نقاشاً هادئاً وعقلانياً وعلنياً لابد أن يتناول هذا الخيار من بين خيارات أخرى مطروحة لسوريا المستقبل، ولكن بدل اللجوء الدائم لفروض الأمر الواقع، أي نقاش الحدث بعد حصوله، نجد أن نقاشاً مسبّقاً للممكنات من هذا النوع يغني التفكير السياسي ويوسع دائرة العمل السياسي مستقبلاً.

السياسة الدولية والاقليمية خارج سوريا وتجاهها بدأت، يبقى أن تبدأ السياسة داخل سوريا، تلك التي لن تبدأ مهما طال الزمن، قبل رحيل هذا النظام.

الاعتراف بـ «ذات الواقع».. طريقاً أوحد للحل

فادي محمد

بدراسات عديدة فيها من الجهد والضمير ما فيها توصل المفكر الياس مرقص بمشروعه النقدي الكبير لكافة التيارات الفكرية والسياسية وكافة الأحزاب اليسارية واليمينية منذ عصر النهضة العربي حتى نهاية القرن العشرين، توصل إلى أن هذه التيارات والتشكيلات على كل (اختلافاتها) قد نصَّبت لها إماماً، بالرغم من جهل أغلبيتهم به، الا أنه قابع في الذهن والروح، هو الأسقف بركلي الغائب – الحاضر بوعيهم ولا وعيهم، الإمام الأسقف بيركلي أحد أهم رواد المثالية الذاتية صاحب المقولة الأشهر التي تلخص قاعدته المعرفية (المحبرة التي أمامي موجودة لأنني أراها).

وبالرغم من تشدق اليسار ليل نهار بالعلم والمادية وملحقاتهما، وتشدق اليمين بأن العالم حتى بأدق تفاصيله محكوم من الله تعالى (وهذا اعتراف بموضوعية العالم) الا أنهما اليمين واليسار على مستوى الفعل والبرامج السياسية والنظرية، وعلى مستوى خط النظر المعلن منهما والكم الهائل من البيانات، لم يمارسا الا شطحا للذات خارج حدودها وتخفيضا للموضوعية لدرجة الإلغاء، كما هو إمامهم، لنقل بالضبط مركزية الأنا المشغولة بنفسها وطرفية الواقع المحيط بها.

1 - بمقدار ما هو السؤال (كيف نحسِّن العالم) مشروعا وأخلاقيا في العمل العام للبشر، بمقدار ما هو فخ تقع فيه الذات غير القادرة على رؤية موضوعها، ويتفرع على يدها إلى أسئلة أخرى تكشف خط النظر الذي تعيشه (كيف نغير المجتمع، أو كيف نخترق المجتمع أو كيف نؤثر فيه) مستغرقة بهذه التساؤلات وصولا إلى تذويت المجتمع في داخلها، ويتم تحويله من كينونة لها روح وتاريخ الى سذاجة (المجتمع هو مجموع أفراده) حيث يصبح الفعل عندها فعل دعوي (يصلح المجتمع بصلاح أفراده)، محولة الفعل التاريخي العظيم (تحسين العالم) إلى (حصالة تجميع لأفراد يملكون قناعة مشتركة).

2 - إن فعل (تحسين العالم)، شرطه الأول الإقرار ذهنا وروحا ومسلكا بموضوعية العالم. الإقرار

البقية في صفحة 13 ...

الحرية والازدهار: هل كانت سورية بخير؟

أنور عباس

في اللغة العربية تغلب كلمة "الخير" على الكثير من معايداتنا وتحياتنا وتمنياتنا في المناسبات وفي المواقف اليومية سواء. والخير كلمة نشير بها إلى المواسم الماطرة التي تعود بمحصول وفير، فلها دلالة اقتصادية كبيرة دون شك، فنحن بخير إذا كنا مكتفين اقتصادياً، والموسم خير إذا عاد بقمح يشبع البطون، لكن الاكتفاء الاقتصادي لا يكفي بالطبع وليس هو المعنى الوحيد للخير، فكثرة المال ووفرة الطعام مع غياب الصحة، وراحة البال، والاطمئنان والأمان ليست كافية. فالخير مفهوم عميق، ووفرة الخير بكل وجوهه هي مصدر استقرار المجتمع وازدهاره.

كان من السائد أن تعمل الحكومات على رفع سوية الدخل، وتطوير الصناعة، ودعم الإبداع التقني لتحقيق التنمية الشاملة، بالطبع كان ذلك يترافق بدعم التعليم وتطويره لأنه عماد تلك الأمور جميعا. لكن الزمن تغير وأتى من يجادل بأن تحقيق الازدهار في المجتمع لا يتم بتحقيق التنمية الاقتصادية وحسب، بل إن الازدهار، وأعود هنا إلى مفهوم الخير، أبعد من ذلك، فالمجتمع الذي يخلو من الحريات، والتسامح والفرص الاجتماعية لا يمكن له أن يحقق التنمية الكاملة والمستدامة التي توصله إلى الازدهار، حيث يعم الخير على الجميع.

أتى أماريتا صن العالم والفيلسوف الاقتصادي الهندي الشهير والأستاذ في جامعة أوكسفورد البريطانية والحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد بنظرية جديدة وسَّعت مفهوم التنمية إلى ما وراء النمو الاقتصادي ومؤشراته المعتادة، وجاء يقول بأن التنمية هي توسيع للحريات القائمة التي على الانسان أن يتمتع بها، وقال بأن توسيع الحريات يجب أن يكون مرتكزا أساسيا للتنمية وليس هدفا لها وحسب. وقال بأن تحقيق التنمية يتطلب التخلص مما يسميه اللا حريات وأوردها في مزدوجات مثيرة للاهتمام، كالفقر والاستبداد، والحرمان الاقتصادي والإقصاء الاجتماعي والمرافق العامة المتردية وغياب التسامح بين الناس، فهو يربط هذه المفردات في أزواج يراها متلازمة، فالتخلص من الفقر لا يتم بدون زوال الطغيان، والاكتفاء الاقتصادي لا يثمر دون توفر الفرص الاجتماعية للجميع.

ربط أمارتيا صن التنمية بالحريات على نحو لم يسبق التطرق إليه، وناقش في كتاب يعج بالأفكار الجديدة المدعومة بالتحليل العلمي لحقائق ومعطيات اقتصادية كيف أن الحرية هي أساس من أسس التنمية وليست هدفا نهائيا لها, وبذلك لا يمكن تحقيق التنمية المستدامة في أي مجتمع دون توفر خمسة أمور هامة هي, الحرية السياسية, المرافق الاقتصادية المتاحة للجميع, الفرص الاجتماعية, ضمانات الشفافية والأمن. ورأى أن على مؤسسات الدولة جميعا العمل نحو توسيع الحريات الفردية وتعزيزها، وفصَّل كيف تقوم كل منها بهذا الدور وفقا لوظيفتها الأساسية.

وعليه فإن الحريات هي اتساع الخيارات أمام أفراد المجتمع في الاعتقاد السياسي، والعمل، والحصول على الرعاية الصحية والوصول إلى الفرص الاقتصادية، ويرى صن بأن غياب الخيارات هو انعكاس للا حريات.

لا تستطيع الدول الشمولية التي تقوم على نموذج سياسي واقتصادي واجتماعي أحادي تحقيق التنمية والازدهار الذي تنشده الشعوب لنفسها، ولا تستطيع الصمود أمام ديناميكيات التغيير الحتمي. إن اتساع الحريات هو الباب الأوسع ليعم الخير.

عودٌ على بدء

نور آدم

ثمة أسئلة في هذا الزمن، واجب علينا البحث فيها: هل سيعيد التاريخ نفسه؟ أم نطمح لتاريخ مختلف... تاريخياً لكل ثورة ثورة مضادة، هل يمكن تجنب هكذا كارثة؟

ربما... إذا عمل الفكر فعله، إذا بدأ العقل يحضر بحكمته...

ضمن المستطاع والممكن لا يوجد في الأفق سوى العودة للكلمة، كما قال السيد المسيح (في البدء كانت الكلمة)، وعاد القرآن الكريم لذكرها بالآية الشريفة: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون).

هذه الكلمة تعود مؤكدة صيانة حريتها، انبثاقها.. لا يعرف أرباباً.. إنما يعرف عقلاً احترمها واحترم بها الإنسان... تجد في هذا العصر صرختها بحناجر الشعب السوري عندما ردد (حرية .. حرية) .. مبشراً بولادة لم يأت وقتها بعد فهي محاطة بكل الإحباطات الممكنة لبقايا ظلمة تجسدت بظلم هذا الشعب، إن كان باستبداد النظام أو استبداد عقائد متطرفة.

فليس الاستبداد وقفاً على الأنظمة فقط.. إنما من يزرع في عقول وقلوب أبناء جلدته إرهاصات التعصب وبالتالي عدم قبول الآخر لهو استبداد لا يقل خطراً عما هو معروف.

فحقيقة الحرية نشاط لا يهدأ للناس واختيارات واعية تحكمها قيم الإنسان، من أهم محطاتها المعرفية قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟).. وصولاً إلى عصر الأنوار بقول هيجل: "إن إرادة الحرية مرهونة بوعي الضرورة، فلسفياً" ليجسدها غاندي عندما أوقف ثورته حين رأى العنف قد بدأ، لأنه أي (العنف) لا يمكن أن يكون طريقاً لبزوغ شمس الحرية.

على هذا الأساس، علينا أن نعيد لهذه الكلمة التي كانت من أعماق روح الشعب السوري بداية الثورة، تجسيدها المعرفي وتفعيلها في نفوسنا كقيمة دائمة حقة، حتى يتلاشى الاستبداد الذي عشش تاريخاً طويلاً في أعماق نفوسنا، لنستحق عندها حقيقة هذه الكلمة: نسيجاً لمجتمع سيتجاوز حتى أكثر المجتمعات المتقدمة التي ترفع راية الحرية، تلك البلدان المدعية التي ما زالت تساهم في استعباد البلدان الفقيرة باقتصاد الإنسان الرقمي (المصلحي) البعيد إنسانياً عن تطوره الذاتي.

من هنا، نبدأ بنفي كل القيم التي حملها النظام والجهات المتطرفة والمتعصبة دينياً فهما وجهان لعملة واحدة في الاستبداد.

عندها بالنفي للعنف، نصنع حقيقة السلام في الداخل.

ومقابل الاستكبار، يكون التواضع الإنساني الراقي الذي يفتح صدره لكل الآراء والخيارات البناءة.

ومقابل الاستغلال، محبة بعضنا البعض واعتبار نهوض الآخر هو عينه نهوض لذاتنا..

ومقابل السلطة، القبول بالتشارك في صنع مستقبلنا ودخول العلم والمعرفة وكل التجارب الناجحة التي عاشتها شعوب سبقتنا في معاناتها.

ومقابل معادلة المصلحة فوق الإنسان، يكون الإنسان هو المنطلق والوسيلة والغاية النهائية. فالمجتمع كله يكون معنياً بالفرد، والفرد بالتالي يكون معنياً بالمجتمع كله.

ذلك هو التجسيد المعرفي لكلمة (الحرية) التي استشهدت على مذبحها أجمل الورود. تفعيلها داخلنا سيكون الحامل الحقيقي للتغيير، بشهادة القرآن الكريم (إن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

عبد الرزاق شبلّوط، معرضه، الثورة، اللجوء، وأشياء أخرى

رامي العاشق- ألمانيا

افتتحَ الفنّان التشكيلي السوري عبد الرزّاق شبلّوط يوم الجمعة 14-8-2015 معرضه الشخصيّ الأوّل -المستمرّ إلى الآن- في قلعة مدينة (ديورن) الألمانيّة -المدينة التي دمّرت الحرب أكثر من 90% منها- بدعوة من مؤسّسة هاينرش بول الألمانيّة التي استضافته في بيت الأديب الألماني "هاينرش بول" في منحة تفرّغ للرسم، أنجز فيها الكثير لمعرضه هذا، المعرض الذي حضره عمدة المدينة وكثير من السوريّين القادمين حديثًا إلى ألمانيا، وفنّانون ومهتمّون ألمان وعرب، ويعرض عبد الرزاق شبلّوط لوحاته الواقعيّة فقط وعددها 15 لوحة تنوّعت موضوعاتها واجتمعت في سوريّتها، اللوحات المفرطة بواقعيّتها صوّر فيها شبلّوط تفاصيل سوريّة كثيرة، ووجوهًا سوريّةً، وكانت الحريّة حاضرةً كذلك كأساس أصيل في ثقافتنا السوريّة الجديدة، على هامش المعرض التقتْه "طلعنا عالحريّة" وحاورتْه عن هذا المعرض.

كيف يعرّف عبد الرزاق شبلّوط بنفسه؟

بدايةً؛ أشكر مجلّة طلعنا عالحرية التي أتاحت لي هذه الفرصة للتواصل مع أهلي في الداخل السوري والمخيمات المؤقتة وأحييهم من كل قلبي. باختصار شديد: أنا رسّام سوريّ، ابن مدينة حمص وريفها، درست لمدّة ست سنوات تقريبًا في مركز "صبحي شعيب" للفنون التشكيلية في مدينة حمص، خرّيج كلية الفنون الجميلة من جامعة دمشق.

يسأل كثيرون باستغراب: فنّان بهذه القدرة الساحرة، لماذا يكون هذا أوّل معرض شخصيّ له؟

ظروف الحياة التي كنّا نعيشها في سوريا بشكل عام، وفرض الخدمة الإلزاميّة في القوّات المسلّحة اضطرني لمغادرة سوريا إلى دولة الإمارات بعد التخرّج مباشرة، وهناك قضيت تسعة أعوام لأستطيع تأمين (البدل النقدي) للخدمة الإلزامية ممّا جعلني أعمل في مجالات بعيدة نوعًا ما عن اللوحة. عدت إلى سوريا في العام 2006 إلى مجال العمل الإعلاني والدوام الطويل ممّا اضطرني أيضًا للابتعاد كثيرًا عن التفرغ للوحة، ومنذ قيام الثورة السورية تركت العمل الوظيفي واكتسبت القوّة في دفع ثورتي الداخلية الخاصّة للتفرّغ للرسم، والرسم فقط، الثورة ألهبت مشاعر الملايين ودفعتهم لفعل كلّ ما في وسعهم بما يملكون أو يعرفون، وأنا كشخص يملك موهبة الرسم رأيت أن واجبي الفطري والأخلاقي هو التفرّغ لعملي الذي أتقن دعمًا ومشاركةً بهذه الثورة وحقًا لوطني عليّ، وقلت في نفسي إنّ نجاحي على الصعيد الشخصي هو نجاح لبلدي ولأهلي ولثورتي، وتفرّغت لهذا المشروع بمساعدة لا يمكن إنكارها، أو لنقل: لها كل الفضل وهي زوجتي وشريكتي في الحياة، وها أنا أقيم معرضي الأول من خلال كتفها الذي أسند رأسي عليه دائمًا.

ترسم عدّة اتجاهات فنيّة وبعدّة تقنيّات ومواد، لماذا تظنّ أنّك حصدتَ شعبيّة عالية خاصة على مواقع التواصل بلوحاتك الواقعية تحديدًا؟

في الحقيقة؛ هناك تقصير كبير في ثقافتنا البصريّة على المستوى الجماهيري، وقد اعتاد الناس على تقبّل الفنّ الواقعيّ أكثر من غيره من المدارس لقربه من إدراكهم الأوّل ومفهومهم البسيط عن التشكيل، وهذا ليس ذمًّا ولا انتقاصًا لهم، إنّه فقط توصيف لتقصير مؤسّسات المجتمع التعليميّة بهذا الخصوص، ولهذا نجد أنّ معظم الشرائح الاجتماعيّة وبكافّة مستويات تعليمها تتفاعل مع اللوحة الواقعيّة أكثر من تفاعلها مع اللوحات الأخرى، بينما النخبة فقط والمهتمّون هم من يستطيعون قراءة اللوحة بشكل أعمق.

الواقعيّة التي هي عنوان معرضك وسمته العامّة، تدرسونها في الجامعة بالتأكيد، ولكن الواقعيّة المفرطة، كيف جنحت لها وما هي قصّتها؟

منذ أيّامي الأولى في كلية الفنون كانت تستهويني الواقعيّة، ويدهشني الفنانون المفرطون في هذه الواقعية، ولكنّ المزاج الدراسيّ العام آنذاك لم يكن يسمح لهذه الرغبة بالتجسّد، كنّا شبابًا نريد أن نقدّم الجيّد والجديد، وكنّا نقلّل من شأن الرسم الواقعي ونعتبره مجرّد تقليد مجّاني للواقع، ولكنّني في الحقيقة كنت أهرب بين الفينة والأخرى للوحة واقعيّة أو اثنتين، ولكنّ هذه الثورة أثّرت بي كما أثّرت في كثير من الناس في ثورتهم على ذاتهم، وهنا قرّرت أن أتجاهل ما كان يمنعني من اتّباع شغفي بالرسم بهذا الأسلوب سواء كان النقّاد، أو التوجّه العام للمثقّفين أو النخبة، فليكن؛ وبدأت خوض التجربة ويبقى نجاحها رهنًا بالمتلقّي ونقّاد وأساتذة الفنّ بكلّ تأكيد، ولكنّني لم أعد متردّدًا بهذا القرار.

ألا تظن أنّ هذا النوع من الاتّجاهات الفنيّة يقلّل من السقف الثقافي للمتلقّي أو على الأقل لا يحفّز لديه الرغبة في فهم رمزيّة اللوحة؟

لا أبدًا، فهذه المدرسة كغيرها من المدارس الفنيّة لها أسسها وتقاليدها وروّادها منذ ستينيّات هذا القرن وهنا أتكلّم عن الواقعية المفرطة أو (ما بعد الواقعيّة) فإن كانت هذه الأعمال تقدّم بسياقها الثقافي والبصري والفكري بشكل جيّد فما المانع؟ المشكلة في نشر الثقافة الفنيّة ودور المؤسّسة وليس في الفنان نفسه ولا في المتلقّي، ولا أدري من هو الذي قال بضرورة الرمز في اللوحة! الرمزيّة والتعبيريّة والتجريديّة موجودة أيضًا ولها روّادها، ولكنّها ليست بأيّ حال من الأحوال أهمّ أو أعمق أو أكثر فنيّة من الواقعيّة، الأمر مزاج شخصي.

ماذا كان ينقصك ليكون هذا المعرض في سوريا؟

الكثير. واسمح لي بألّا أسترسل بهذا الجواب.

أنت الان في ألمانيا، في معقل الواقعيّة منذ أن بدأت بذارها في القرن التاسع عشر، هل تشعر أن هذا المكان أفضل لك؟ أم أنّ أعمالك ستتم مقارنتها بأعمال الواقعيّين الألمان؟

لن ندخل الآن في بحث تاريخيّ عن بداية الواقعية والتي أعتقد أن سكّان الكهوف كانوا أوّل من بدأها، ولكن أعتقد كأيّ عربيّ (موضوعيّ) أنّ أعمال الواقعيّين الأوروبيّين أهمّ بشكل مؤكّد من أعمالي نتيجة خبراتهم الطويلة ونتيجة تطوّرهم الطبيعي والظرفي في الفنون بشكل عام، ولكن أعتقد أنّني استطعت بفترة زمنيّة قياسيّة الوصول لمرحلة متقاربة جدًا مع أعمالهم واستطعت العرض بنجاح في صالاتهم كخطوة أولى أتمنّى أن تتبعها خطوات أخرى وتصيب بعضًا من النجاح.

هل وجدت اختلافًا بين الجمهور العربي والألماني من حيث قراءة اللوحة وتحليلها بحكم عملك كفنّان ومدرّس للرسم في الجامعة على الأقل إن لم تكن صاحب معارض سابقة ؟

في الحقيقة مازالت خبرتي قليلة بالجمهور الألماني، ولكن ما نعرفه جميعًا أنّ الفرق شاسع وكبير جدًا بين جمهور يدرّس الفنون الجميلة على أصولها في مراحل دراسته المبكرة، وجمهور كانت ومازالت حصّة الرسم لديه في المدارس حصة فراغ، وأعود وأكرّر المشكلة في المؤسّسات التعليميّة العربيّة لدينا وليست في الجمهور أبدًا.

حضور المعرض اليوم متنوّع وغنيّ، مثقّفون عرب وألمان، وجالية سوريّة واصلة حديثًا، سوريّون قطعوا البحر وربما أوّل شيء فعلوه في ألمانيا هو زيارة معرضك، هل تظن أنّ المسؤولية أصبحت مضاعفة الآن؟ أي هل يمكننا الحديث عن مرحلة ما قبل المعرض وما بعد المعرض؟

لا أستطيع وصف التوتّر وحجم المسؤوليّة التي تصيبني هذه الأيّام يا صديقي، وسعادتي بأن يرى الحضور هذه الأعمال للمرّة الأولى بشكل مباشر كبيرة جداً ولكنّني لا أخفي ترقّبي لردّات الفعل، سعادتي كبيرة فعلًا بالأصدقاء الواصلين للتوّ إلى ألمانيا والذين سيقطعون ساعات الطريق الطويلة إلى ديورن ليشاهدوا أعمالي، هذه المحبّة وبغضّ النظر تمامًا عن قيمة اللوحات الفنيّة تغمرني وتشعرني بالامتنان وتضع مسؤوليّة كبيرة على عاتقي أتمنّى من كلّ قلبي أن أكون أهلاً لها.

نعلم أنك شاركت في بيانات عديدة وفعاليات تضامنية وقدّمت لوحات لحملات تضامنيّة آخرها حملة "السوريون ليسوا أرقامًا" التي تضع صورتها على صفحتك الشخصية في فيسبوك، ما هي مشاريعك في المرحلة القادمة؟ هل ستزور مخيمات اللجوء التي يقيم فيها السوريون؟ هل ستقوم بنشاطات معينة من أجل السوريين؟

لن أكذب عليك، ولن أدّعي بطولات لا أملكها ونشاطات أتشرّف بها، فقد حصلت منذ أيّام فقط على أوراق لجوئي، وأقول لجوئي آسفًا، ولكن هذه هي الحقيقة، وقد كنت طوال الثمانية أشهر هذه أعمل ليلًا نهارًا على إنجاز اللوحات والوصول بها إلى نجاح يليق بي كإنسان وبجنسيّتي وأهلي، لا أفكّر الآن بأيّ شيء، رغم استعدادي الدائم لتقديم كلّ ما أستطيع من أجل أهلي في الداخل وفي المخيّمات بدون أي مزاودة من جهة ما أو مسمىً ما.

برأيك لماذا كان الفنّانون الذين تضامنوا مع شعبهم أو قدّموا له قلّة؟ حتّى من هم خارج سوريا!؟

في الحقيقة لا أدري.. أخاف أن أظلمهم إن تكلّمت عنهم، سأدع ما أظنّه بهم لنفسي، كل امرء له قناعاته وقدراته وشجاعته وظرفه الخاص.

المواطن السوري عبد الرزاق شبلّوط وشقيق الشهداء وابن المعتقل، كيف يرى سوريا بعد هذه المرحلة الحرجة، وما هي سوريا التي يحلم بها؟

أحاول تجنّب الحديث دائمًا عمّا أصاب عائلتي وما قدمته هذه العائلة خلال الثورة، والتي تتشابه في ذلك مع العديد من العائلات السورية، ولكن أيّ نجاح أحقّقه أو سأحقّقه هو إهداء لأرواح أخويّ نديم وسمير وإهداء لأخي حمزة المصاب في البيت، ولأبي الذي لا اعلم في أيّ قبو مظلم هو، ولا إن كان مايزال على قيد الحياة، أشعر أنّهم يستحقّون أن يعلم العالم كلّه بهم وبما قدّموه وأعتقد أنّ هذه هي مهمّتي في ردّ جزء بسيط لهم ولتضحياتهم الكبيرة، كنت أتمنّى أن يرى أبي هذا المعرض، أبي الذي كان يفتخر بأيّ خطّ أرسمه وأنا صغير، دعنا من هذا الشجن صديقي ولنكمل: أرى أنّ مايجري في سوريا صيرورة تاريخيّة حقيقيّة والكلام أصبح كثيرًا جدًا، والمواقف تشعّبت، والأزمات تزايدت داخل الثورة ولكنّها ثورة حقيقيّة، ومستمرّة رغم كلّ السلبيّات التي تشوبها ورغم كلّ التخوّفات المحقّة، وسوريا التي أحلم بها ككثيرين غيري: هي سوريا الدولة المدنيّة الديموقراطيّة التعدديّة لا أدري متى ستأتي بعد أن تدخّلت شياطين الأرض كلّها، لكنها وبدون أدنى شك ستأتي.

سلم أولويات الشعب السوريّ

شوكت غرز الدين

لسلم الأولويات (hierarchy) وظيفة هامة جداً، في العمل السياسيّ والثوريّ، من أجل تحقيق الأهداف العامة تراكمياً لا بالضربة القاضية. وهو هام من حيث وضعه وترتيبه وبوصلته. وهام أيضاً من حيث تغييره واستبداله. إنَّه كالبوصلة التي تُرشد الملاحة البحرية والجوية والصحراوية، فإن كانت البوصلة صحيحة وصل إلى غايته، وإن كانت خاطئة ضاع. ولذلك يترتب على التشبث بسلم الأولويات أو التفريط به تداعيات استراتيجية كبيرة، يمكن أنْ تَصبّ في جعل الشعب السوري الرقم الأصعب في مبادرات الحل ومعادلاتها بحالة التشبث، ويمكن أنْ تَصبّ بالعكس؛ أي في رمي الشعب السوري على قارعة الطريق ومزبلة التاريخ بحالة التفريط به واستبدله بأولوية الآخرين. لهذا يجب على النخب السوريّة التي تمثّل الشعب السوري تركيز كبير الاهتمام على سلم الأولويات؛ لأنه يشكّل ما يعتبره "أرسطو" السبب الغائي في الفعل الثوري، والذي بدونه يبقى ناتج الفعل الثوري ناقصاً يعيش حالة خبط عشواء.

فعلى مدار ثلاثة وخمسين شهراً، وضع الشعب السوري سلم أولوياته استناداً إلى مصلحته التي يُفترض أنها لا تعارض مصالح الشعوب الأخرى. واختار الحرية والكرامة اختياراً مبدئياً لا رجعة عنه، من خلال إسقاط نظام الاستبداد ورحيل رموزه وإقامة نظام ديمقراطي. وقد تجاوز الشعب السوري بسلم أولوياته هذا، حرقات إصلاح النظام والعمل من خلاله لتحسين شروط عبوديته، إلى إسقاط النظام وتغييره وإقامة بديله الحرّ.

وكأي عمل إنساني، تمرُّ الثورة السورية بمراحل متعددة عبر الزمن، وهي الآن تمرُّ بمرحلة "الثورة المضادة" التي يعمل عليها المجتمع الدولي والإقليمي، من خلال تغيير سلم الأولويات الخاص بالحرية والكرامة وفرض سلم أولويات جديد خاص في محاربة الإرهاب الداعشي بدون محاربة الإرهاب الأسدي، وبالتالي تحقيق الانتقال من الشعب يريد... إلى المجتمع الدولي والإقليمي يريد...

ولدينا وقائع ثلاث تدعم الثبات على سلم الأولويات وتجعل من الشعب السوريّ الرقم الأصعب في المعادلة: أولها التغير مع الزمن، وثانيها توزع الحل في سوريا واقعياً، وثالثها اجترار المبادرات الواهمة.

فالتغير مع الزمن نوعان وكلاهما يحصلان بغير إرادة؛ واحد منهما يرتبط بـ"الفوضى"، والثاني يرتبط بـ"التغذية الخلفية الراجعة" (Feed Back). فلقد انكسرت بفضل "الفوضى" أربعة احتكارات كان النظام السوريّ يحتكرها وهي: السلاح والقضاء والثروة والمعلومة. فنجد انتشاراً للسلاح وتبعثراً في شرعيّته، وتكثر المعلومات من مختلف الجهات وتحتاج لمن يُنظمها، وتنتشر المحاكم الشرعية في كثير من المناطق السوريّة، ويتم استثمار الموارد الطبيعية والمعابر الحدودية من جماعات مخالفة للنظام ومعارضة له.

وكذلك نلاحظ تغيراً عند الموالين للنظام وعند الأطراف الدوليّة والإقليميّة الداعمة له، ولكنه ناتج عن "التغذية الخلفية الراجعة". وهو تغير ينتج عما يرجع من الفعل الثوري إلى المراقب، فيعيد تأقلمه وتلاؤمه وتعلمّه ويعدِّل سلوكه. ومثال ذلك قبول الروس برحيل الأسد بعد تشدد بإبقائه، أو برفع شعار "الشعب يريد إعدام سليمان" عند الموالين للنظام بعد أن كانوا يرفضون هذا الشعار بالمطلق، أو قبول المعارضة السورية بمشاركة إيران في الحل في سوريا بعدما كانت مشاركتها مرفوضة قطعاً، أو تراجع إيران عن تشددها السابق. وهذا معناه أنهم يعيدون النظر في تحركاتهم واتجاهاتهم وقناعاتهم لتستجيب بمرونة مع كل موقف على نحو جديد، فيعدِّلون عملياتهم أثناء السيرورة (العمليّة، التحوليّة) في المتجه العام لأولوية السوريين.

أما عن توزع الحل في سوريا واقعياً فنجد أنَّه يتوزع بين عدة أطراف بنسب مختلفة وغير قابلة للقياس. وثمة من يعتقد ويتوهم أنَّ النسبة الأكبر من أوراق الحل بيد طرف ما من الأطراف الدوليّة أو الإقليميّة. ويغيب عنهم أنَّ الشعب السوري الواحد أو المتشظي يملك نسبة من أوراق الحل تكاد تشكّل الرقم الأصعب في معادلة الحل السورية بدليل عدم قدرة جميع الأطراف على الحل بدون أولوياته. فمن حسنات وحدة الشعب السوري اختيار الحرية والكرامة وعدم الاستجابة لطلبات الآخرين، ومن حسنات تشظيه عدم قدرة الآخرين على فرض أجنداتهم وأولوياتهم عليه بسبب تشظيه نفسه. والمطلوب سورياً إذاً، التمسك بهذه الأوراق وعدم التفريط بها، وتحويلها إلى استراتيجية تقترب من آمال السوريين بالخلاص من القتل والدمار واللجوء والاستبداد والإرهاب خلاصاً ليس نهائياً وإنما يضعهم على سكة فاعليتهم كبشر.

أما عن اجترار المبادرات وتتويجها بمؤتمرات فحواها واحد، ويرتبط بمحاربة الإرهاب والقضاء على أمل الحرية والكرامة. فلنلاحظ أنَّ كثرة المبادرات هي دليل ضعف وعجز وليس دليل قوة وصحة. فلو كانوا أقوياء كما يتخيلهم البعض لكانوا حلوّا حلاً يتماشى مع مصالحهم منذ زمن. ولكنهم ضعفاء بالنسبة لصمود الشعب السوري.

وهنا يبرز سؤالان يطرقان الأذهان للتفكير بإجابات لهما من "خارج الصندوق"؛ بمعنى الخروج عن الإجابات الدارجة التي نجترها: أولهما هو لماذا لم يتوقف القتل والتدمير والتهجير الذي يقوم بهم الإرهابي الأول (النظام السوري) على الرغم من كثرة المبادرات الدوليّة والإقليميّة والمحليّة في هذا الصدد؟ وثانيهما هو لماذا لم ينتصر طرف ما من الأطراف الدوليّة أو الإقليميّة أو المحليّة على الرغم من قناعة الكثيرين بأنَّ أوراق الحل بأيديهم؟ وجواب السؤالين واحد وهو عدم قدرتهم بالنسبة لواقعهم ولأولويات السوريين.

صحيح أنَّه لم تنجح أولوية السوريين بالحريّة والكرامة بإسقاط النظام ورحيل الأسد وإقامة نظام ديمقراطي حتى الآن ولكن العملية مستمرة، وصحيح أيضاً أنَّه لن تنجح أولوية الآخرين في محاربة الإرهاب بدون أولوية الحرية والكرامة. لذلك على السوريين إبقاء عيونهم على ما يحدث ميدانياً وليس فندقياً.

وطالما أنَّ الحل يكمن في إنجاز أولوية السوريين، سنجدهم يقدِّمون في سبيلها التضحيات الأسطورية. وستعمل الفوضى والتغذية الخلفية الراجعة فعلها. فالشعب السوري بالإضافة إلى أنه منبع الأولويات وبوصلتها فإنه الوحيد القادر والقابل على ردم الهوّة بين سلم أولوياته وبين النتائج المتحققة بالفعل.

ناظم الحمّادي..
صخرة دمشق التي لا تنكسر ..

ميساء الحمّادي*

لن أتحدث في مقالتي هذه عن ناظم الناشط والمحامي لجهلي بالكثير عن تفاصيل نشاطاته التي أصرّ أن يبعدنا عنها خوفاً علينا، بل سأتكلم عن ناظم الأخ والشاعر ذي الإحساس الرقيق، هذا الإحساس الذي يجهله الكثير من أصدقائه.

لم يكن ناظم الشقيق الأكبر لثمانية أخوة فحسب، بل كان الأب والمعلّم الذي أخذ على عاتقه مسؤوليتنا جميعاً، وقد تجلّى ذلك من خلال إصراره على استمرارنا في التعليم وخاصة نحن البنات، ومحاولاته بناء جسور لنا مع العالم الخارجي -خارج دائرة حارتنا الشعبية- فكان أول أخٍ يصطحب شقيقاته معه لحضور مسرحية وحفلة لمحمد منير! لا أنسى عينيه تلك الليلة وبريقهما وسعادته بنّا..

كان حريصاً على أن يكتب استمارة دخولنا إلى الجامعة رغم معارضة كلّ من حولنا، فهو الوحيد الذي كان مؤمنا بقدراتنا وخياراتنا. بعدها رأيته نائماً على حجر أمّي تغنّي له أغانيها القديمة، ربّما ليعيش طفولته التي ضاعت بالتفكير بمصيرنا... يا إلهي من أين يأتي بكل هذه الصلابة ليواجه عادات وتقاليد مجتمع بأكمله!...

نعم، من هنا بدأ ثورته قبل ثورتنا بكثير.

اتجّه بداية للتمثيل، ربما يستطيع من خلاله إيصال رسالته، ولكنّ المسرحيتين اللتين قام بدور البطولة فيهما لم تلقيا الصدى الذي تمنّاه، أحسّ حينها باليأس والانكسار ولكنّه ظلّ يبحث عن طريقة أخرى يوصل فيها أفكاره وقناعاته، فكتبها ومزقها ثم يكتب ويمزق ثانية... ويكتب ويمزق إلى حين صدور ديوانه الشعري الاول (أوراق التوت الغامضة).. فاحتفلنا به وبصبره وبأفكاره. والأصح أننا احتفلنا لأنفسنا لوجوده بيننا..

كان أول شخص في حيّنا ينشئ مكتبة منزلية تعجّ بدواوين محمود درويش ومجلة عالم المعرفة. "عليكم بالقراءة" كان يقولها لنا دائماً "فهي الطريقة الوحيدة لتعرفوا الأمل".

كان يبكي لساعات طويلة أحياناً في غرفته. كنت أجهل أسباب بكائه وخوفه. مرّت عليه لحظات ضعف كثيرة وفشل أكثر، ليقف بصعوبة بعدها على قدميه ويكمل ما بدأه لوحده. واستمر في ذلك إلى أن قامت ثورتنا لتلتقي مع ثورته التي بدأت قديماً ويكملا الطريق معاً. حينها ترك المنزل وذهب ليسكن وحده ربما كي لا يعتقل أمام أعين أمّي، فهي لم تكن أمّه فقط بل كانت سّر ما هو عليه الآن.

الشاعر والناشط ناظم الحمّادي - مختطف في الغوطة الشرقية

بدأت حينها رحلة خوفه ووحدته على الرغم من أنّه لم يعتد البعد عن العائلة لفترات طويلة، ثلاث سنوات لا نعرف أين يذهب او ماذا يفعل، إلى أن أقام في بيتي في السنة الأخيرة لأكتشف فيه إنساناً آخر أذهلني. ورغم معرفتي بحبّه للأطفال كان يصرّ على أن يعامل الطفل معاملة واعية فقد كان يتصرف مع ابني ذي الثلاث سنوات كأنّه شاب صغير؛ يجلسان ليتناقشا بنوعية طعامه الذي يفضّله مثلاً، ويعطيه من وقته ليجلس على حاسوبه الشخصي رغم أشغاله الكثيرة. لم أكن أستغرب ذلك فقد تذكرت كيف أنّه مرة جلس مع طفل صغير يبيع العلكة على جسر في دمشق، وأعطاه كل المال الذي كان بحوزته (رغم أنّه لم يكن كثيراً) وبكى يومها لعجزه وعجز العالم أمام براءة الطفل وشقائه...

انتقل بعدها إلى منزل آخر وذلك بسبب خطورة الإقامة في مكان واحد لمدّة طويلة، بعدها مباشرة جاءت قوات الأمن إلى منزله الجديد واقتحمت المنزل بعد كسر الباب وبدأوا بالتفتيش في كامل المنزل بعد أن رموا جميع أغراضه الشخصية على الأرض.. كانت ليلة لن أنساها ما حييت .. لكن من حسن الحظ وسخرية القدر أنّهم كانوا يبحثون عن شخص آخر كانت شقته مقابل شقة ناظم.. ضحك كثيراً كثيراً حينها.. وأنا اعتصر قلبي ألماً عليه وصار جزءا من مخاوفي اليومية.

غادرت سوريا بعدها إلى تركيا. طلبتُ منه القدوم معنا، وافق في البداية ربّما لأننا كنّا آخر من تبقّى له في دمشق فهو يكره الوحدة كثيراً والوداع، لكنّه رفض الخروج بعد ذلك وأتذكر مقولته التي صدحت في أذني "لمين راح نتركها؟.. إذا نحن السلميين تعبنا وتركنا وهاجرنا راح نترك الكلمة الأخيرة للسلاح". كان ناظم من أشدّ المعارضين لتسليح الثورة، وكان يقرأ نهاية الثورة من خلال تسليحها ويرى أن المستفيد الحقيقي من السلاح لم يظهر على الساحة بعد.

في إحدى الصباحات شهقت روحي شهقة طويلة.. ولكن لا.. لن أتوسل الخاطفين، فأنت حرّ رغماً عنهم، ولن ترضى لمثلهم أن يذلونا أو يقتلوا ثورتنا..

لقد كبرنا بغيابك أكثر من سنواتك الأربعين مجتمعة والتي عشتها معنا يا ناظم. أنا متأكدة أنّك سوف تعود لتحيا وتنتصر وتبكي وتفرح فهكذا كنت وستبقى صخرة دمشق التي لا تنكسر..

وأكرر الآن جملتك المفضّلة التي تحبّها.. "لا كرامة لنبي في وطنه".. لعلّ من قاموا بخطفك يقرؤون كلامي الآن ويدركون أيّ ذنب اقترفوا بسجنك في زنزانة لا تتسع لأحلامك..

* ميساء الحمّادي شقيقة المختطف ناظم الحمّادي

مجلس "العيش المشترك" في "رأس العين- سري كانيه" محاولةٌ لترسيخ أخوة الشعوب

سردار ملا درويش

مجتمع الجزيرة السورية "روج آفا"، غني بمكوناته المختلفة، برغم أن معالم التعايش المشترك والسلم الأهلي لم تكن مرسخة أو ظاهرةً كثيراً في حقبة النظام السوري، الذي هيمن على كل التشكيلات المختلفة، حتى الوفاق والتفرقة كانا أمران يحدد النظام توقيتهما وظرفهما، وذلك بحكم حساسية المنطقة، والتعامل معها سياسياً لا اجتماعياً أو جغرافياً أو اعتبارها كباقي المحافظات السورية.

في ظل الثورة السورية، تغيرت وتعددت الظروف على المنطقة، فمن دخول كتائب تابعة للجيش السوري الحر ومن ثم جبهة النصرة وأخيراً داعش، وبين هجرة الأهالي منها وعدم الاستقرار وطرد داعش منها على يد "وحدات حماية الشعب" الـ "YPG" حتى خلق نوع من الأمان والاستقرار، لتبدأ الحاجة إلى ما يوصل أطياف ومكونات المنطقة ألفة نتيجة الحاجة للتعايش المشترك والسلم الأهلي، وضخ تلك المفاهيم، بعيداً عن عقلية البعث، لكن دون الوصول للديمقراطية المثلى.

تقع مدينة "رأس العين- سري كانيه" شمال شرق سوريا، وتتبع لمنطقة الجزيرة أو كما تسمى حالياً "روج آفا" أي "غرب كردستان" التي تديرها "الإدارة الذاتية الديمقراطية"، مع استثناءات لتواجد النظام السوري في مدينتي "الحسكة" و "القامشلي- قامشلو"، وهي الإدارة التي يقول البعض أنها تابعة لـ "حزب الاتحاد الديمقراطي"، لكن الإدارة نفسها تقول عن نفسها، أنها تابعة لحركة المجتمع الديمقراطي "TEV DEM"، المؤلفة من حزب الاتحاد الديمقراطي الـ "PYD" وأحزاب سياسية كردية أخرى بالإضافة لأطراف من المكونات الأخرى في المنطقة، باستثناء المجلس الوطني الكردي الذي لم ينضوي تحت راية هذه الإدارة. فالمدينة التي تتعدد فيها المكونات الإثنية والعرقية والقومية، تم فيها تشكيل "مجلس الأخوة والتعايش المشترك"، الذي يضم في صفوفه الكرد والعرب والمسيحين والأشوريين والشيشان، ويقع على عاتقه توحيد المجتمع، ودرء الفتنة بحسب نائب رئيس المجلس "عبد الرزاق الحلو" من عشيرة "العدوان"، الذي يرى أن المجلس سيسّد الادعاءات التي تفرق بين مكونات المنطقة،

لذا رفع المجلس شعار "أخوة الشعوب"، في جهدٍ لمساعدة الناس ضمن الأمور الحياتية، التي تدعو لأسس التعايش المشترك، واتفاق كافة المكونات للدفاع عن المنطقة، وحل الاشكاليات العالقة، بالإضافة للدفاع عن الأرض وتحريرها من "تنظيم الدولة الإسلامية".

الأمر ذاته يراه عضو المجلس عن المكون السرياني "عبد الأحد عبد الأحد"، بأن المجلس "سيمد يده لكافة مكونات المنطقة، ويكون نواة للوصول إلى مجتمع ديمقراطي حر".

يرى "عبد الأحد" أن تشكيل المجلس ليس بالأمر الجديد على المنطقة من حيث الشكل، لكنه امتداد لما تتمتع به مدينة "رأس العين-سري كانيه" منذ مئات السنين، "حيث العربي جار للكردي والسرياني يعيش مع العربي والكردي كأخوة، بحكم أن الجميع يكملون بعضهم البعض، ومن هنا فإن هدف المجلس يأتي لتضافر الجهود، ورص الصفوف، وتخفيف معاناة أبناء المنطقة، بالجهد والعمل حتى الوصول إلى التعايش المشترك.

رئيس مجلس التعايش المشترك "أنور جاويش" اعتبر أن الهدف من المجلس هو إرساء المحبة بين أبناء المنطقة الواحدة أو نموذجاً يحتذى به في كل سوريا، من خلال وجود حاضنة تضم كافة الأديان والقوميات والأفكار، "فالأسس التي بني عليها المجلس، أتت نتيجة المودة بين مختلف مكونات المنطقة، لتكون نقطة انطلاق لبناء مجتمع سليم في المنطقة خاصةً والوطن عامةً، ما دفع لذلك هي الظروف التي مرت بها منطقة الجزيرة- روج آفا، من قبل القوى العسكرية التي دخلتها، ليكون هدف المجلس إزالة كافة الفوارق والخلافات وبناء جسم رصين".

يتألف المجلس من 41 عضواً ويضم 11 عضواً فاعلاً بينهم الرئاسة المشتركة ونائبين، ولجان متخصصة، فهناك بحسب "جاويش" لجنة العلاقات التي تقوم بتنظيم الزيارات واللقاءات والمهرجانات، وتمثيل المجلس في مجالس أخرى، وأيضاً هناك اللجنة الخارجية التي تتعامل مع الوفود القادمة، بالإضافة للجنة الحماية والدفاع، ومهمتها تشكيل قوة من كافة المكونات للدفاع عن المنطقة، وتجنيدهم تحت راية (وحدات حماية الشعب).

مسؤول مكتب العلاقات في "وحدات حماية الشعب" والمساهم في آلية عمل المجلس "حسين كوجر"، يرى أن تشكيل مثل هذا المجلس كان حاجة ماسة وُجب تشكيلها في جميع الجغرافية السورية، منذ بداية الأزمة، "فعند دخول الكتائب المسلحة للمنطقة مثلاً وصراعها مع النظام، تم تشتيت الأهالي، حيث تواجدت مئة كتيبة في مدينة واحدة، وبدل قيامها بتوحيد المجتمع، قامت

"لا يعتبر مجلس التعايش المشترك المثال الأعلى للواقع السوري، بقدر ما يعتبر انطلاقة نحو بناء مجتمع متكامل وسليم"

بإنشاء عشرات التجمعات، لذا كان تشكيل هذا المجلس نواة قوة مجتمعية وعشائرية موحدة، في وجه الخطر الذي يداهم المنطقة".

رداً على سؤال "طلعنا عالحرية" بأن الكرد هم من يسيطرون على المجلس، أجاب "كوجر" بأن حاكمية المنطقة يترأسها الشيخ "حميدي دهام الهادي" وهو من عشيرة شمر، ويشارك بالإدارة وفي جميع مراكز صنع القرار كافة المكونات، حتى في الجانب العسكري المتواجد على الأرض، هناك قوة عسكرية لجانب "وحدات حماية الشعب" وهي الصناديد التابعة لعشيرة الشمر، والمجلس السرياني (السوتورو) والاشوريين والشيشان". أما عن وجوده كشخص عسكري قريب من المجلس، يذكر "كوجر" أن مهمتهم هي دعم المجلس للقيام بعمله، "ومتى وصل المجلس إلى مرحلة الاستقرار وعدم الحاجة لنا، آنذاك سيتولون العمل لوحدهم".

لا يعتبر مجلس التعايش المشترك المثال الأعلى للواقع السوري، بقدر ما يعتبر انطلاقة نحو بناء مجتمع متكامل وسليم، بدأ في منطقة الجزيرة، لتعدد ديمغرافيتها، من هنا ركزت العديد من منظمات المجتمع المدني على البحث عن سبلٍ توحيد المجتمع، ومشاركة مجتمعية فعلية لحل جميع المسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، لكن بعيداً عن ذهنية الإلغاء والإقصاء والاستئثار، من قبل طرف بحق الأطراف الاخرى، وذلك ضمن إطار الاعتراف المتبادل بين الجميع، على مبدأ المساواة في حقوق المواطنة وواجباتها.

هنا حاولت أيضاً منظمات المجتمع المدني، العمل على ايجاد تعايش بين جميع المكونات، فقام "مركز التآخي Biratî للديمقراطية والمجتمع المدني"، بحملة تسامح في شهر نيسان من العام الماضي، عبر ندوات حوارية ضمن حملة "تسامحوا ليعم السلام"

Hev bibexşînin bila aştî belav bibe

بمشاركة 19 شاباً من كافة مكونات المدينة، تلاها قيام المركز بندوة جماهيرية، شارك فيها معظم مكونات مدينة "رأس العين- سري كانيه"، ورجال الدين والشخصيات الاجتماعية والمنظمات والأحزاب والمجالس، لتكون مبادرة من أصل ثلاث مبادرات، شملت كافة مدن منطقة "الجزيرة- روج آفا" على مدى سبعة أيام.

لا يخلو واقع منطقة "الجزيرة- روج آفا" من المنغصات، وعدم تمثيل "الإدارة الذاتية" وحتى "مجلس التعايش المشترك" لكافة الأهالي، فهناك من يؤيد الفكرة وهناك من يراها ربما من طرف واحد، مقابل وجود من يخالفها على مبدأ الاختلاف السياسي، لكن القائمين على المجلس يعتبرون أن خلق الاستقرار والأمان في ظل هذه الظروف أهم بكثير من تشتيت المجتمع.

.. تتمة من صفحة 6

بأن له ذاتاً ليست ذاتي ولا ذات كل الأحزاب مجتمعة، وهذا هو الموقف الديمقراطي «الموقف الديمقراطي هو الاعتراف بذات الواقع» كما قال إلياس مرقص، وأن ميول الواقع واتجاهاته ليست بالضرورة متوافقة مع غاياتي ورغباتي، وربما تكون على النقيض منها. وربما يذهب جزء كبير من عملي خدمة لعكس أهدافي -إذا لم أعترف بذات الواقع-، ولنا دليل بتجربة الأحزاب التي رفعت سقف معارضتها بالثمانينات للنظام، مع الإحترام الواجب والشديد لكل التضحيات الجبارة، إلا أنها برفعها هذا السقف قد ساهمت بتقوية النظام، معركة النظام معها رابحة عبر استئصالها وتعزيز الدولة الأمنية، هي لم تع أن خط الواقع وميوله كانت بخط نازل، بدلا من اسقاط النظام أصبحت الدولة الأمنية أكثر نفوذاً.

3 - الثنائية أعلاه (نخب – مجتمع) وترجمتها الفعلية على أرض الواقع لم تكشف إلا عجزا وقصورا وأزمة تعيشها هذه النخب. وأعتقد أن مفتاح خروجها من أزمتها هو وعي جزئيتها وتخلصها النظري من عرَّابها ومثاليته الذاتية وأن تدرك حجمها وتضع لنفسها مهام ضمن اطار الممكن (في تجارب حزبية قديمة كان هناك أحزاب لا يتجاوز عدد أعضائها مقاعد ميكروباص وتضع برنامجاً سياسياً على مستوى الوطن ككل، وتبدأ برنامجها بـ: «نحن نعمل من أجل إقامة الدولة كذا وكذا» أو «نحن نناضل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية»).

4 - مؤتمر القاهرة لتوحيد رؤية المعارضة السورية من أجل الحل السياسي في سوريا في 8 و 9 حزيران، الملخص الأخير لما جاء فيه «مجلس وطني – مجلس قضاء أعلى – حكومة مرحلة انتقالية – مجلس عسكري انتقالي»، ليس هذا إلا مثالا ساطعا على نكران فاضح للمحبرة، تعبيراً حقيقياً عن أزمة نخب اعتادت تغييب الواقع، المبادرة السابقة قد تصلح بنهاية عام 2011 على افتراض قبول النظام بها، مؤتمر القاهرة لم ير جيش الفتح وجيش الإسلام وجبهة النصرة وداعش والنظام الذي لا يقبل حتى الآن بأي حل سياسي، لم ير ميلشيات طائفية ضخمة تصول وتجول في البلاد، لم ير مجتمعا قد تذرر وتحول إلى عشرات الآلاف من الجزيئات المسلحة، لم ير أن اللغة الوحيدة الآن هي لغة القوة والتغول على الآخر بالسلاح، لم ولم.. خمسون عاما لنظام قهري أمني، وخمسون عاما لفقر معرفي عند النخب. ليست المعرفة قراءة فقط، إنها فعل، فعل باتجاه معرفة الواقع.

ماذا يريد الكورد اليوم؟

دلير يوسف

في السنوات الأخيرة كثرت الأسئلة المطروحة عربياً حول الكورد سواء أكان ذلك اجتماعياً أو صحافياً أو سياسياً، وخاصة بعد بدء حرب العراق في آذار 2003 ولَعْبُ الكورد حينها دوراً كبيراً في إسقاط نظام صدام حسين ولاحقاً أصبح رئيس العراق، السيد جلال الطالباني، كوردياً للمرة الأولى في تاريخ العراق الحديث، وأخذت هذه الأسئلة بالازدياد منذ أكثر من أربع سنوات، أي بعد انطلاق الثورة السوريّة ودور الكورد فيها وكذلك بعد ازدياد اهتمام الصحافة العربيّة بالحرب الكورديّة التركيّة.

سورياً كثرت الأسئلة المطروحة حول مستقبل الكورد في البلاد وهل يسعون إلى الانفصال لا سيما بعد أن أعلنت حكومة الإدارة الذاتيّة في مناطق تواجد الكورد، وهي ثلاث كانتونات: الجزيرة وكوباني وعفرين، وبعد معركة كوباني ودعم التحالف الدولي للكورد في وجه ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلاميّة-داعش. وتكاد لا تخلو صحيفة أو قناة تلفزيونيّة أو إذاعيّة من برنامج حواري تتحدث فيه عن الكورد ومستقبلهم، ودأبت المجلات والمواقع الإلكترونيّة على أن تطلب من كتّاب الكورد والصحفيين والسياسيين أن يشرحوا موقف الأكراد، وشرع المحللون السياسيون إلى استشراف مستقبل الأكراد في المنطقة بمقالات تطول وتقصر، ولم يوفر الباحثون عناءً في البحث عن تاريخ هذا الشعب وثقافته وحاضره ومستقبله.

أما إذا مشيت في شارع عربي (1) وسألت الناس: ماذا يريد الكورد اليوم؟ فستتلقى إجابات تتراوح بين العيش المشترك والإخوة وبين "بالدبح جيناكم" مروراً بكلمات مثل: مخربون، يسعون للانفصال، مرتهنون للأمريكان، هم واسرائيل وجهان لعملة واحدة، أبطال وقفوا بوجه داعش، إخوتنا في الدين، إخوتنا في الوطن... الخ من المتناقضات.

أما إذا مشيت في شارع كوردي (1) وسألت الناس السؤال ذاته، وهذا ما فعلته شخصياً خلال إحدى الزيارات لمدن كورديّة تقع في الجانبين الجغرافيين السوري والتركي، فستكون الإجابات متمحورة في معظمها عن الرغبة في "حياة كالحياة".

ملاحظة: خلال اطلاعي على عدد من الصحف والمجلات العالميّة وخلال سفري الدائم لم ألحظ يوماً مقالاً بعنوان: ماذا يريد الألمان؟ ولم أشاهد حواراً على قناة تلفزيونيّة هولنديّة تتحدث عن سكان جزر السيشل ومستقبلهم؟

بالطبع هذا الاهتمام البالغ بالكورد مؤخراً لا ينبع عن حب وعاطفة شبقة، ولا هو رغبة في العيش المشترك كما أظن، وكما توحي الحرب الأهليّة المفتوحة الدائرة في البلاد، لكن لن أسيء الظن أكثر من ذلك وسأحاول سرد أسباب هذا الاهتمام:

أولاً: رغبة في فهم هؤلاء الجيران، الذين اكتشفنا مؤخراً أنّهم لا يأكلون البشر(2).

ثانياً: رغبة في فهم تاريخ المنطقة كي يبنى على ذلك عقد اجتماعي جديد ناتج من حوارات المفكرين والمثقفين. (هذا السبب هو سبب وجيه جداً).

ثالثاً: رغبة في ملئ الصحف والمجلات والإذاعات والقنوات التلفزيونيّة بمواد صحفيّة تشد المتابع العادي كونها مليئة بالأكشن. (شخصياً كتبت عدداً من المواد الصحفيّة بعضها طويل وشاركت في برنامجين إذاعيين عن هذا الموضوع).

رابعاً: كسلاً في الحديث عن الظبي والقُبَّرة (3).

على كل حال لا أريد هنا أن يفهم كلامي بأنّني ضد هذا الاهتمام بل أنّه يسعدني الالتفات إلى جيران نسيهم جيرانهم لفترة طويلة وقرروا الآن أن يحادثونهم، وكل ما أريد قوله هنا هو أن أجيب باختصار على هذا السؤال السرمدي: ماذا يريد الكورد؟

يريد الكورد أعزائي أن يعيشوا حياتهم البسيطة مثلهم مثل باقي الناس، يريدون أن يرقصوا ويغنوا بفرح، يريدون أن يتعلموا بلغتهم ويتحدثوا بها دون أن يكون ذلك مصدراً للمصائب الأمنيّة، ربما يريدون أن يقيموا الأعراس في الشوارع وأن يكونوا جزءاً من هذا المكان مثل باقي الأجزاء. هؤلاء الفقراء البسطاء في تلك القرى والمدن البعيدة المنسيّة يبحثون عن حياة بسيطة سعيدة.

إنهم ببساطة يريدون حياة كالحياة.

هوامش:

1 - يعتقد الكاتب بأنّه لا يوجد شيء يسمى شارع عربي أو شارع كوردي أو شارع هندي أو شارع ألماني والمقصود هنا سؤال العرب، أو سؤال الكورد.

2- حدث خلال أحد الدورات التدريبيّة خلال الخدمة العسكريّة الإلزاميّة السوريّة في بداية القرن الجاري أن تعارف شاب كردي مع آخر قادم من إحدى قرى سهل الغاب كان يظن أنّ الكورد يأكلون البشر وكان الأهل في تلك القريّة حين يخيفون أبناءهم يقولون: "جاية الكردي ياكلك". الشاب الكوردي هو قريبي وهو من أخبرني عن هذه الحادثة.

3 - قصيدة لاعب النرد للشاعر محمود درويش.

الهاشتاغ السوري تحت المجهر

باسل مطر,
مشروع سلامتك

درج كثيرون من السوريين مؤخراً على استخدام الهاشتاغ (الوسم تعريباً) بشيء من الإفراط على فيسبوك، والإفراط ليس كل ما في الأمر، بل بلادة وفقر هذه الهاشتاغات، الأمر الذي يشي بكثير في الأحيان بجهل مطلق بأسس استخدامها، حتى يبدو بعضها مضحكا، ولابأس في ذلك فنحن بحاجة لبعض الفكاهة، لكن علينا حينها ألا نأمل بأن تخدم قضيتنا ولو بمثقال ذرة.

ليست الهاشتاغ وسيلةً للتعبير عن فكرة تراودنا، أو إحساس يخالج مشاعرنا، أو عاطفةً تفيض بها جوارحنا، بل هي كلمةٌ أو عبارةٌ مفتاحيةٌ قصيرةٌ جداً تخدم وظيفةً محددةً، وتستخدم لتمكين المتابع من العثور على جميع المناشير التي تتحدث عن موضوع ما. فهي إذاً أداةٌ لتسهيل البحث أولاً، ثم لحشد جمهور بعينه حول موضوع معين، فهي إذاً ركنٌ هامٌّ من أركان استخدام الشبكات الاجتماعية لخدمة أهداف نضعها نصب أعيننا، وحشد الرأي، وإيصال المعلومات لجمهور يبحث عنها أو لديه الاستعداد للتفاعل معها، مما ينفي عنها الطابع الشخصي بالمطلق، ويضعها في مصاف تقنيات التأثير على الرأي العام، ولو على نطاق ضيق جداً.

لطالما رأينا تلك العلامة (#) على لوحات مفاتيح هواتفنا، وحرنا في أمرها. ولطالما ارتبطت في أذهان الكثيرين بالاتصال بأرقام خدمة الزبائن في الشركات الكبيرة، والانتظار طويلاً. كذلك فقد كان من السائد استخدامها في البرمجة وتكنولوجيا المعلومات، إلى أن ظهر استخدامها الأول والأقرب إلى وظيفتها الحالية، التي نعرفها اليوم على شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع التدوين القصير، على برنامج الدردشة IRC لوسم المجموعات والأحاديث كنظام للفهرسة، إلى إن أطلق كريس مسينا تغريدةً في الثالث والعشرين من آب عام 2007 مقترحاً استخدامها على موقع التدوين القصير تويتر، وكان له ذلك.

لكن انتشار استخدامها عالمياً وعلى مستوىً أكبر كان في العامين 2009 و 2010 إبان الاحتجاجات الإيرانية على الانتخابات، وذلك بعد الاستخدام الرسمي الأول لها كما نعرفها اليوم في السادس والعشرين من آب عام 2007 في تغريدة أطلقها ستووي بويد، وفقا للجنة الخاصة باللغة المحكية الأمريكية.

في الثاني من شهر تموز 2009 بدأت شركة تويتر بربط جميع المنشورات المرتبطة بهاشتاغ معين مع نتائج البحث للكلمة الواردة في الهاش تاغ، وتبعه في عام 2010 إطلاق الموضوعات الدارجة (الأكثر تداولاً) على تويتر والتي تضمنت الهاشتاغات الأكثر انتشاراً بين المستخدمين.

وطبقا لويكيبديا فإن الهاشتاغ هي بمثابة منتديات نقاش غير رسمية، وأي كلمة أو مجموعة من الكلمات تسبقها علامة الرقم (#) يمكن أن تكون هاشتاغ, وإذا توفر لها العدد الكافي من المستخدمين لتداولها وترويجها فهي مؤهلة لتصبح ضمن الموضوعات الدارجة (على تويتر مثلا)، ولا توجد حقوق ملكية مرتبطة بها, ولا تموت إلا بالتوقف عن استخدامها.

لا يستخدم السوريون تويتر كثيرا وبذلك نجت الهاشتاغ منهم لوقت طويل، فتويتر موقع للتدوين القصير، وحاشى لله أن نكتب بإيجاز ونركز على لب الفكرة، فنحن نحب الكلام والإفاضة والاستفاضة والناس، فوجدنا في فيسبوك ضالتنا، وأمعنا فيه استخداماً، واستنزافاً، حتى وصلت إليه الهاشتاغ في حزيران من عام 2013، ولم تنج هذه أيضا من أيدينا (كنت سأقول من براثننا لكني عدلت) فأدلينا بدلونا أيضا، حتى خلتها شجرة الدر.

قلما أرى استخداما موفقا لهذه الميزة العظيمة التي لو أحسن توظيفها للعبت دورا هاما في حشد جماهير كثيرة من مستخدمي الشبكات الاجتماعية حول موضوعات كثيرة ذات أهمية بالنسبة لقضية السوريين وثورتهم، وكل ما أراه هو استخدام عشوائي يفتقر للمعرفة.

معظمها طويلة تتألف من أربع أو خمس كلمات أو أكثر، مما يجعل تذكرها بالنسبة لمن قد يرغب باستخدامها أمرا صعبا، ومعظمها يفتقر للجاذبية والفرادة والذكاء الذي يميز ما نراه كل يوم من هاشتاغات على تويتر. ولم أر أياً منها تجد طريقها إلى الموضوعات الأكثر تداولا على تويتر مثلا، عدا عن أن اهتمام الناس بها يتضاءل بسرعة مما يدل على فقر الجهود التي تبذل لإبقائها حية وفاعلة، وجل هذه الهاشتاغات لا يطلق بهدف تسخيره في حملة قصيرة أو دائمة، وهو يتنافى مع وظيفتها وطبيعة استخدامها.